نتائج البحث

بالإشارة إلى ما سبق التعرض له بالتحليل والنقد نخلص إلى:-

أ- أن جميع المجتمعات الإنسانية عبر العصور المختلفة قد عرفت ظاهرة السلطة السياسية . فالسلطة بما تملكه من حق الاستخدام المنظم للقهر لها أهمية كبيرة فى الحفاظ على وحدة الجماعة الإنسانية واستمرارها . والملاحظ اتخاذ هذه السلطة أشكالاً متنوعة ، وفقاً للمراحل التاريخية التى مر بها تطور المجتمعات الإنسانية ولعل من أشهر هذه التنظيمات السياسية : "المدينة – المعبد" ، "المدينة – الدولة" – "الممالك" – "التنظيمات الإقطاعية" – "الإمبراطوريات" ثم "الدولة الإقليمية" مع بداية عصر النهضة وأخيراً "الدولة القومية" بملامحها المعاصرة .

- والدولة بمفهومها المعروف حاليا إنما هى ظاهرة حديثة نسبياً ، فلم تعرف فى أوروبا أو العالم قبل القرن السادس عشر . وقد تشكلت قسماتها مع أفول النظام الإقطاعى والفصل التدريجى بين السلطتين السياسية والدينية ، وقيام وحدات سياسية قومية على أساس المركزية السياسية . وكذلك تأسيس السلطة ووضع القواعد القانونية لممارستها ، وجاءت الثورة الصناعية والاقتصاد الرأسمالى . فأكدا وجودها بهذا الشكل الحديث .

وقد لعبت الأفكار والنظريات السياسية لكبار فلاسفة السياسة أمثال ميكيا فيللى وبودان وهوبز ولوك وفى وقت لاحق روسو وهيجل ماركس أدوارا مهمة فى تطوير فلسفة الدولة وتحديد غائية التنظيم السياسى . وتعد نظرية العقد الاجتماعى أحد أهم هذه النظريات ، إذ تم من خلالها بلورة الكثير من القضايا الأساسية فى علم السياسة والقانون العام كمصدر السيادة ، والعلاقات الحكومية القائمة بين الفرد والدولة ، وقيمة حقوق الأفراد . ولم تلبث التطورات السياسية والاقتصادية اللاحقة أن أضافت الكثير إلى تحديد ماهية الدولة وأفسحت المجال لبروز قضايا جديدة تتعلق بالمدى الذى يجب أن يصل إليه دور الدولة بالنسبة للمجتمع، ومدى قدرتها على الوفاء بمتطلبات أوسع للجماهير . وبرزت تيارات فكرية وسياسية كالشيوعية والفاشية والاشتراكية والليبرالية ... الخ – لتقديم حلول جذرية لتلك المشكلات . وبالرغم من ظهور دعوات من وقت لآخر للانتقاص من أهمية الدولة – غير أن هذا الانتقاص إنما هو أمر نسبى . إذ تبقى الدولة التنظيم الاجتماعى المتماسك بهيكليته الصلبة ، ويعبّر إطارها عن مجمل الحياة السياسية ، وهو كذلك الإطار الذى تتوافر بداخله أكثر من أى إطار آخر الفرصة الحقيقية للنمو والتطور المجتمعى نحو الأفضل .

ب- خلافا للمفهوم السياسى للسلطة الذى كان سائد فى أوروبا وهو حق الحكم الإلهى والذى كان يشكل تبرير فلسفيا للاستبداد، والحكم المطلق، قام الفيلسوف الإنجليزى جون لـــوك بطرح مفهوم مغاير أكثر تقدمية بالنسبة لعصـــره ، اســتجابة للتطــورات السياســية والاقتصادية لإنجلترا فى ق ١٧ والتى تمثلت فى الصراع بين الملك والبرلمان والــذى انتهى بثورة ١٦٨٨م التى قادتها البورجوازية الإنجليزية بالتحالف مع الجناح المســتنير لطبقة النبلاء فى مواجهة الإقطاع والحكم -وانتهى بانتصار البرلمان وإرساء دعائم حكم ملكى دستورى مقيد . وتعتبر نظرية لوك فى الدولة والتى أقامها مثل سائر معاصريــه على نظرية العقد الاجتماعى، بمثابة تنبؤ دقيق بالثورة وتقنين لأهــم إنجازاتــها علــى الصعيد الفلسفى .

هذا وتنشأ الدولة عند جون لوك للحفاظ على حقوق الأفــراد الطبيعيــة وهــى الحيــاة والحرية والملكية والتى يراها لوك سابقة على المجتمع والدولة . بل إن هذه الحقوق هى التــى استدعت وجودهما . وأن أى انحراف عن تلك الغاية يعطى الرعايا حق المقاومة والثــورة . ومن ثم فإن الحكومة لا ينبغى أن تكون تعسفية وخير الحكومات عنده هى التى تقــوم علــى رضا الرعية . وهو يقسمها إلى تشريعية . تنفيذية ، اتحادية وينادى بمبدأ الفصل بين السلطات لمنع طغيان أى سلطة على اختصاصات الأخرى .

ويعد لوك بدفاعه عن حقوق الأفراد ووضعه القيود على السلطة وتأسيس الســلطة علــى رضا الأفراد من المؤسسيين للاتجاه الديمقراطى الليبرالى الحديث .

وقد أثرت فلسفته تأثيرا كبيرا على أجيال كثيرة من المفكرين وأهمهم مونتسكيو وروســو فى ق١٨ وكانت فكرته القائلة، بأن الناس عليهم أن يغيروا النظام الاجتماعى القائم – إذا لم يكن يمد الفرد بالفرص المناسبة للتعليم والتطور، ذات أهمية كبيرة فى تــبرير الثــورات البورجوازية التالية الأمريكية والفرنسية .

ج- نتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والفكرية التى مرت بإنجلترا خلال عقود ثلاثة، والتى أدت إلى انحسار مفهوم الدولة الحارسة، الذى نادى به جون لوك تدعيما للطبقــة الرأسمالية الصاعدة، وحلول مفهوم دولة الرفاهية والاقتصاد المختلط الذى يمنح للدولــة دورا أكبر لحساب قضية العدالة الاجتماعية، بعد التعديلات التى أجريت على المذهــب الليبرالى للتوائم مع التطورات الجديدة. وظهور الفكرة الاشتراكية كقوة مؤثرة فى تشكيل السياسات التى تنتجها الدولة . فقد أتت النظرية السياسية لهارولد لاسكى عن الدولة فــى الربع الأول من القرن العشرين معبرة أعمق ما يكون التعبير عن كل تلك التطورات .